

زيارة الأربعين في دفاتر عثمانية مهمة
(١٥٣٤-١٥٧٤) الزوار الإيرانيين انموذجا

أ.م سيف عدنان ارحيم
الجامعة العراقية-كلية الآداب
Alsaif1984@gmail.com

م.د. حسن طالب الخفاجي
الجامعة التقنية الجنوبية-الكلية التقنية

إن تنظيم زيارة اربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) من البلاد الاسلامية تحتاج الى وقفات يجب التوقف عندها لاسيما خلال مدة الهيمنة العثمانية على البلاد العربية ومنها العراق بولاياته الثلاث (بغداد-الموصل-البصرة) على وجه التحديد والتي امتدت من عام (١٥٣٤-١٩١٨) ومرت تلك السنوات هي الأخرى بتحويلات مفصلية مهمة اثرت على الوضع العام في العراق ومنها زيارة الاربعين والتي دفعت الباب العالي العثماني ان يولي تلك الشعيرة اهمية كبيرة وهذا ما تم معرفته والاستدلال عليه من بعض المراسلات بين الولاة العثمانيين في العراق والباب العالي ولاسيما ما يخص الزوار الايرانيين للعبات الدينية. ومن بين تلك الاهتمامات العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) والسلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤) الوثائق المتبادلة التي تمدنا بمعلومات قيمة في نوعها فهي تتعلق بعلاقة العثمانيين بالدولة الصفوية ومدى اهتمام المسلمين في ايران بزيارة الأئمة الاثني عشرية في النجف وكربلاء(١)، وأهمها هي التوجه الحاشد للزوار خلال اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر الخير .

والسؤال الذي سيكون محور البحث هل ان الزوار الايرانيين تمتعوا بالحرية الدينية اسوة بنظرائهم العراقيين في زيارة الاربعين؟، وهل كان للعلاقات السياسية بين الدولتين العثمانية-الصفوية تأثير على تلك الزيارة؟

وسيتم تناول البحث بمحورين الأول الزيارة في عهد السلطان سليمان القانوني والمحور الثاني الزيارة في عهد السلطان سليم الثاني، والاشارة الي ردود السلطانين فيما ترددهم من رسائل من البكلربكي بصدد ذلك.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين ، دفاتر عثمانية ، الزوار الايرانيين .

“ Zeyart AL-Arbaeen in significant Ottoman notebooks (15341574-)
Iranian Visitors as a Case Study”

Professor Dr. Saif Adnan Arheem
University of AL- Iraqiya - College of Arts
Dr. Hasan Talib Al-Khafaji Southern Technical
University - College of Engineering

Abstract

The organization of the Zyarat Al-Arbaeen especially from the Islamic countries, needs pauses that must be stopped, especially during the period of Ottomans domination over the Arab countries, including Iraq with its three states (Baghdad-Mosul-Basra) in particular from (1534-1918). Those years also passed through important articulated shifts that affected the general situation in Iraq, including Zeyarat Al-Arbaeen, which prompted the state council pay a great attention to this ritual and this was evident through correspondences between Ottomans governors in Iraq and the state council.

Among those Ottoman concerns during the reign of Sultan Suleiman the Magnificent (1540-1566) and Sultan Selim II (1566-1574) and the exchanged documents that provide us with valuable information, it is related to Ottoman-Safavid relationship and the interest of Iranian Muslims in Imams Zeyarah of the Ithna’ Ashari in Najaf and Karbala, and the most important is Zyarat Al-Arbaeen of Imam Hussein (PBUH) on the tenth of Muharram Al Haram.

The main question of the research is whether the Iranian visitors enjoyed religious freedom like the Iraqi’s in Zyarat AL Arbaeen.

And did the political relations between the Ottoman-Safavid have an impact on that Ziyarah?

The research will be dealt with in two axes, the first is the visit during the reign of Sultan Suleiman the Magnificent, and the second axis is the visit during the reign of Sultan Selim II, and the point out is made to the responses of the two sultans in the letters they received from the Beylerbeyi in this context.

Keywords: Forty-day visit, Ottoman registers, Iranian visitors

المقدمة

إن تنظيم زيارة اربعينية الإمام الحسين عليه السلام لآسيا من البلاد الاسلامية تحتاج الى وقفات يجب التوقف عندها لآسيا خلال مدة الهيمنة العثمانية على البلاد العربية ومنها العراق بولاياته الثلاث (بغداد-الموصل-البصرة) على وجه التحديد والتي امتدت من عام (١٥٣٤-١٩١٨) ومرت تلك السنوات هي الأخرى بتحويلات مفصلية مهمة اثرت على الوضع العام في العراق ومنها زيارة الاربعين والتي دفعت الباب العالي العثماني ان يولي تلك الشعيرة اهمية كبيرة وهذا ما تم معرفته والاستدلال عليه من بعض المراسلات بين الولاة العثمانيين في العراق والباب العالي ولاسيما ما يخص الزوار الايرانيين للعتبات الدينية. ومن بين تلك الاهتمامات العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) والسلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤) والوثائق المتبادلة والتي تمدنا بمعلومات قيمة في نوعها فهي تتعلق بعلاقة العثمانيين بالدولة الصفوية ومدى اهتمام المسلمين في ايران بزيارة الأئمة الاثني عشرية في النجف و كربلاء()، وأهمها هي التوجه الحاشد للزوار خلال اربعينية الامام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر الخير.

والسؤال الذي سيكون محور البحث هل ان الزوار الايرانيين تمتعوا بالحرية الدينية اسوة بنظرائهم العراقيين في زيارة الاربعين؟، وهل كان للعلاقات السياسية بين الدولتين العثمانية-الصفوية تأثير على تلك الزيارة؟

وسيتم تناول البحث بمحورين الأول الزيارة في عهد السلطان سليمان القانوني والمحور الثاني الزيارة في عهد السلطان سليم الثاني، والاشارة الى ردود السلطانين فيما تردهم من رسائل من البكلربكي بصدد ذلك.

أولاً: زيارة الاربعين في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) (١)

مثل الاحتلال العثماني للعراق في ١٥٣٤ نقطة تحول مهمة ومفصلية في تاريخ العراق المعاصر والذي استمر لأربعة قرون، وكان من نتائج السيطرة العثمانية أيضاً أن بدا العراق وحدة إقليمية مترابطة أكثر من ذي قبل ونظمت إدارة العراق قانونياً ضمن نظام الشرق المعروف وبدأت الحياة العثمانية الإقليمية للعراق أثر تطبيق للخطط السياسية العثمانية، كما أن جهود سليمان القانوني أسهمت في الوقت ذاته على أنها قبضت على أنفاس العراق الذي غدا مسرحاً للصراع التاريخي المزمع بين العثمانيين والإيرانيين والذي سيكون من ضمن محاور بحثنا عن الجهود التي حاول كل طرف ان يكرسها لفرض الارادة والوجود وفي سبيل التحكم بمنافذه ومسالكه الاستراتيجية إذ أحكم العثمانيون الطوق القوي على استراتيجية الطرق الجغرافية البرية والبحرية وعلى قواه البشرية ومدنه وأراضيه وسيطرت على حركته الاقتصادية وارتبطت أقاليمه بما لها من توابع بالسلطة المركزية ولم يعط للعراق كيانه السياسي الموحد خوفاً على انفصاله عن تلك السلطة العليا والتي انفتح أمام خزائنه السلطة أمام اسطنبول باب جديد من الموارد والضرائب والهدايا ومنح الولاة الذين حكموا العراق بولاياته الثلاث وحاول السلطان سليمان القانوني أن يظهر حبه للعراقيين (الجميل، ١٩٩١، ص ٧٦)، واستكملت الصورة عند زيارته للعراق.

ان الموقف الودي الذي حاول السلطان سليمان القانوني اظهاره للعراقيين ولاسيما لكربلاء المقدسة التي احتلت مكاناً مهماً في العلاقات العثمانية-الايروانية وهذا الاهتمام بسبب وضعها الديني والسياسي والجغرافي وكانت كربلاء في الحقيقة ساحاً للصراع العثماني الايرواني فكان السلطان سليمان القانوني مثل والده السلطان

سليم الأول يؤمن بأن وجود الدولة الصفوية الشيعية يشكل خطراً على العالم الاسلامي والتركي يجب القضاء عليه (قايا، ٢٠٠٨، ص ٢٦-٢٧) وبهذا فلم يألوا جهداً في سبيل اتباع سياسة مركزية في التعامل مع كربلاء ومع الزوار الإيرانيين الذين يقصدون مشهد الأمام الحسين عليه السلام.

وما أن وطأت أقدام السلطان سليمان القانوني العراق حتى توجه كما تشير المصادر العثمانية بعد أن استراح في بغداد أربعة أيام ذهب لزيارة الأئمة (الوردي، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٥٦)، فتوجه لزيارة حضرة علي المرتضى وملك شهداء كربلاء رضي الله عنهما وبلغ مراده أيضاً بالعزة والشرف (ابراهيم افندي، ٢٠١٥، ص ٢٢٨).

وينقل لنا الباحث محمد حسن مصطفى الكليدار ال طعمه صورة عن زيارة السلطان الى كربلاء بالقول: «توجه سليمان إلى زيارة كربلاء فلما وصل إلى تل مزرع الواقع على بعد ثمانية عشر كيلو متراً من كربلاء وشاهد فيه قبة الامام الحسين عليه السلام ترجل من جواده فاستفسر بعض أمرائه عن سبب ترجله فأجابهم قائلاً: عند مشاهدتي معالم هذه القبة ارتعشت جوانحي فلم أستطع الركوب، فقيل له ان المسافة بعيدة بيننا وبين كربلاء وانك لا تستطيع السير إليها على الأقدام فقال لنستخير الله العزيز فناولوه المصحف الشريف فأستخار الله به ثم فتحه وإذا بالآية الكريمة تقول: (إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى)، فعند ذلك بدأ المسير ركباً حيناً و ماشياً حيناً آخر»، وبعد تشرّفه تقبيل الاعتاب المقدسة وتقديمه النذور إليها وتوزيعه الهدايا على ساكنيها قام تعمير تجميل وإصلاح المدينة وقام بإحياء نهر السليمانية (المعروف اليوم بنهر الحسينية) (ال طعمة، ٢٠١٦، ص ٢٨).

ويشير ستيفن همسلي لونكريك عن زيارة سليمان القانوني لكربلاء

بالقول:»وكانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط وان يفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الأخير، فوجد مدينة كربلاء المقدسة حائرة في حائرها بين المحل والطغيان إذ كان الفرات الفاضل في الربيع يغمر الوهاد التي حول البلدة بأجمعها من دون أن تسلم منه العتبات نفسها، وعند هبوط النهر كانت عشرات الالوف من الزوار يعتمدون على الري من آبار قدرة شحيحة فرفع مستوى (روف السليمانية) وهي سدة ما تزال نافعة لوقاية البلدة من الفيضان ثم وسع الترعة المعروفة بالحسينية وزاد في عمقها لكي تأتي بالماء باستمرار ولأجل أن تجعل الاراضي الخالية المغبرة حولها بساتين وحقول قمح وصارت هذه الترعة تناسب في أرض كان الجميع يظنونها أعلى من النهر الأصلي» (لونكريك، ٢٠٢٠، ص ٣٩).

وأمر السلطان سليمان القانوني بتحرير وتسجيل الأوقاف الخاصة بهذه الأماكن وتحسين أدارتها وجعلها على احسن وجه، وفي تلك المدة خلع الخلع على شيخ كربلاء السيد حسين الذي كان من سادات مشهد الأمام علي عليه السلام والسيد حسن (قايا، ٢٠٠٨، ص ١١).

وبعد مغادرة السلطان سليمان القانوني بغداد عين سليمان باشا والي ديار بكر كأول والي على العراق ويذكر عباس العزاوي في موسوعته أن السلطان سليمان القانوني بعد عودته من زيارة المراقد المباركة في النجف وكربلاء نصبه والياً بلقب (بكلربكلي) () وكان من مهامه هي الاشراف على المراقد الدينية ومنها مشهد النجف وكربلاء والتي كان يتابع ادق التفاصيل بما يخص المشهدين مع الباب العالي.

مهما يكن من شيء عن الاهمية التي شكلتها العتبات المقدسة في نفسية السلاطين والولاة العثمانيين فإن ما يهمننا هنا هو عرض بعض من تلك المراسلات بين الباب

العالي وبين بكلبركي بغداد، ولكن علينا ان نعطي موجزاً بسيطاً عن العلاقات العثمانية-الصفوية والتي القت بظلالها على حركة الزوار الايرانيين قبل كل شيء.

على الرغم من الاحتلال العثماني للعراق ١٥٣٤ فإنه لم يقض نهائياً على الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية وظل الجانبان يتنافسان من أجل السيطرة النهائية على العراق واضحى الصراع ظاهرة سائدة في القرن السادس عشر إذ سرعان ما اندلعت الحرب مجدداً بينهما في ١٥٤٦-١٥٤٩ ثم استؤنفت عام ١٥٥٣-١٥٥٥ والتي انتهت بعقد معاهدة اماسيا في ٢٩ ايار ١٥٥٥، بعد ان شعر كل من الطرفين انه بحاجة الى التعايش السلمي لمواجهة مشاكله الخاصة مما جعل المعاهدة ليست بذات قيمة لأن اسباب الصراع كانت قائمة بصفة مستمرة وما يهمننا من المعاهدة ان أحد بنودها أكدت على تبعية العراق على الدولة العثمانية وأكدت المعاهدة على أمن وسلامة الحجاج (الزوار) الايرانيين، والحقيقة ان صلح اماسيا كان هشاً في واقعة اذ سرعان ما بدأت الخلافات على بعض بنودها تطفو على السطح لاسيما بعد الصراع الاسري العثماني بين ولدي السلطان بايزيد وسليم عام ١٥٦٠ ولجوء بايزيد مع عشرة الالاف من جنده الى الشاه طهماسب ليستخدمها الأخير كورقة ضغط على الدولة العثمانية من اجل تقديم تنازلات وبدأت المراسلات بين السلطان العثماني والشاه من اجل تسوية الأمر ومن ضمن ما طلبه الشاه في سفارته الثانية والتي حملت كتاباً يتضمن طلباً فيه ان توضع النجف وكربلاء تحت ادارة اولاد السلطان سليمان القانوني مما ادى الى رفض ذلك الطلب ولكنه تم اجراء بعض التعديلات الطفيفة (عبدالله، ٢٠١٤، ص ٢٤٨-٢٤٩)، ولكنها لم تنه حالة الصراع والنزاع فيما بعد وعهد السلام الهش كان له تأثير ايجابي على حركة الزوار الايرانيين وهو محور ورقتنا البحثية.

فعلي سبيل المثال ان الدولة العثمانية تابعت مطالب الشاه عباس الصفوي بتقديم النذور والصدقات لمشهد الامام الحسين بن علي عليهما السلام ودونت ما ينوي الشاه تقديمه بدفترين وكانا يتضمنان «تقديم الطعام والحلوى صباحاً ومساءً للفقراء وتخصيص ملابس للسادات والخدم فضلاً عما يقوم به من أعمال خيرية للفقراء»، وتم ارسال نسخة من هذه المطالب الى الديوان الهمايوني وهو محط اهتمام السلطان العثماني.

وكان من جملة ما طلبه الشاه في مطالبه هو موافقة الباب العالي على السماح بزيارة المسلمين للمشاهدين في النجف و كربلاء والسماح بدفن موتاهم في مشهد كربلاء.

ما يهمننا هو موقف الباب العالي من تلك المطالب والتي كانت تعكس تحسن علاقات الدولتين في السماح من عدمه بتقديم التسهيلات للمسلمين الشيعة لزيارة العتبات المقدسة، وكان رد الديوان الهمايوني على مطالب الشاه بأنه حدد مدة الزيارة، كما حدد مدة إقامة جالبي الصدقات والنذور بمدة توزيعها على الفقراء في كربلاء.

ولكن الديوان الهمايوني رفض من جانبه الموافقة على بناء (دار الطعام) الذي يروم الشاه بناءه لتقديم الطعام لقاصدي مرقيدي الامام علي عليه السلام والامام الحسين عليه السلام وعد هذا العمل من الممنوعات واستغرب من سعيهم لهذا في اماكن غير تابعة لدولتهم.

وحدد مدة بقاء الزوار الايرانيين بين (٥ الى ١٠) ايام وان تكون زيارتهم خلال الموسم المحدد لزيارة الاربعين، وان يتم استقبال الزائرين في مراكز الحدود وعدم السماح لهم عند عودتهم من المرور من المدن والتجمعات السكانية لكي لا تتعرض البلاد والرعايا الى الاذى.

وكان رد الديوان الهمايوني على رسالة الوالي بأن: بعد أن وصلت إلى ولاية بغداد دار السلام ودخلت فيها ووصلتك رسالة من الشاه مع موفده يذكر فيها أنه أرسل إليك صور الرسائل التي سبقت أن أرسلت إليه بشأن السلطان بايزيد وإن اثنين من رجاله قاما بإيصال النذور والصدقات التي قدمها هو للمشاهدين الشريف وذلك وفق موافقتي السلطانية على ذلك وفضلاً عن هذا فقد طلب أن يطبخ هناك الطعام والحلوى صباحاً ومساءً وتخصص ملابس للسادات والخدم وقام بتسجيل كل ذلك وما قام به من خيرات للفقراء في دفتر وأرسله إليك لو قمت أنت بإرسال صورة منه إلى سدة سعادي وورد في رسالة الشاه ما يتعلق بزيارة الصفيين للمشاهدين والراغبين بالذهاب إلى الحج وما يتعلق بدفن موتاهم الذين يجلبونهم إلى مشهد كربلاء، وحدد الديوان الهمايوني بأنه عند جلب موفديهم الصدقات والنذور فإنه تجوز إقامتهم مدة توزيع هذه النذور على الفقراء المستحقين في المشاهدين الشريفين وإيصالها إليهم مثلما تم تحديدها ولكن لن أوافق على قيامهم هناك بإقامة عمارة (دار الطعام) لطبخ الطعام في الصباح والمساء كيف يقومون بعمل ممنوع وبغير حق في أماكن غير تابعة لدولتهم وإلا تحدد زيارة القادمين بمدة معينة فمدة الزيارة هي خمسة أو عشرة أيام فما السبب والدوافع لبقائهم ومكوثهم في المشاهدين وغيرهما من مرآد الأئمة بعد تحقيق ما يصبون إليه.

وقد سبق وأن أرسل ومرات عديدة أنه ينبغي على القادمين للزيارة ألا يمكثوا في تلك الأجزاء بعد تحقيق رغباتهم ومطلبهم وأن يأتوا جميعاً في الموسم المحدد (موسم الزيارة) وأن يتم استقبالهم في التخوم (الحدود) وأن يسلكوا عند عودتهم أماكن خالية من السكان ودون المرور بالبلدان والقلاع وذلك لكي لا تتعرض البلاد والرعايا إلى الأذى ولا أوافق أن يدخل إلى بلادي المحروسة منهم أحد من الخارج متى يشاؤون رغم علمهم بأن هذا الوقت ليس هو موسم الزيارة.

أما بخصوص طلب الدفن داخل الحرم الشريف لمشهد الحسين بن علي عليه السلام كان رد السلطان العثماني بأنه قد دفن في داخل الحرم الشريف للمشهد بعض الأشخاص قبل الفتح السلطاني، وبعد الفتح لم يدفن فيه أحد بموافقتنا لأنه من الممكن أن يكون جسده طاهراً ليكون أهلاً للدفن على مقربة من المزار الخالد لأولاد خلاصة الكائنات وفخر الموجودات، وليس من رضاي أن يدفن أحد هناك ولا أقبل عليه (مهمة دفقري، ١٥٦٤، ص ١٧-١٨).

تابع الديوان الهمايوني تطبيق موافقته للزوار ومدة مكوثهم لكن بدأت تصل للديوان الكثير من الرسائل من الولاية لاسيما والي بغداد بأنهم خلال الاعوام ١٥٦٤ و ١٥٦٦ طلبوا بأن يكون مكوثهم ستين يوماً في كل من النجف و كربلاء والكاظمية وهو ما اثار اعتراضات الديوان الهمايوني مؤكداً على كتابهم السابق بتحديد مدة الزيارة وان لا تتجاوز العشرة ايام.

وفي رسالة من السلطان سليمان القانوني في ١٦ تموز ١٥٦٥ والذي أكد على الحكم السابق بخصوص تحديد مدة زيارة الايرانيين الى كربلاء والنجف والكاظمية والتأكيد على موسم زيارة الاربعين واهم ما جاء في الحكم السلطاني: «أرسلت رسالة تبلغ فيها أنه قبل وصول المشار إليه إلى بغداد زار المدعوان المحافظ مقصود علي وخواجه بير علي المشهدين الشريفين وضريح الإمام موسى الكاظم عليهم السلام مكلفين من قبل الشاه وأقاما في كل واحد منها ستين يوماً وقاما بطبخ الطعام والحلوى وتوزيعها على الفقراء، و جلب المقصود علي والخواجه بير علي بحساب قدر بمائة وأربعة وثلاثين تومان وخمسة الالف وخمسة وستين آقجة بغرض توزيعها، وأعلنا رغبتهما في الإقامة ستين يوماً في كل روضة من الروضتين حسبما

خططاً مقدماً وذلك للقيام بطبخ الطعام والحلوى وتوزيعها فيها وعندما جوبها بالقول ما الذي يدعوكم للبقاء هذه المدة في المكان المذكور؟ فإذا كان هدفكم القيام بعمل خير فقوموا بطبخ الطعام والحلوى وتوزيعها في غضون بضعة أيام قم عودوا إلى حيث أتيتم أجاب: أن هناك حكماً شريفاً بهذا الصدد وهو عند الشاه الأمر الذي يولد بقاءهم بهذه المدة لأمر بسيط شبهة ويدل على التحايل...، واختتمت رسالة السلطان بأنه طالب بضرورة العمل بمقتضى حكمي السلطاني المفصل الصادر بهذا الشأن وتحول دون بقاء القادمين للزيارة في تلك الأرجاء خلافاً للحكم وتتوخى الحذر من إحداث وضع مخالف لأمرى أو الموافقة على قيام أي أحد دون ذلك» (مهمة دفترى، ١٥٦٥، ص ٦٥١).

يلاحظ من متابعة الرسائل ان التسهيلات المحدودة التي يقدمها الباب العالي للزوار مرتين بتحسين العلاقات العثمانية-الصفوية وهذا يلقي بظلاله على الزوار الشيعة الذين اصبحت زيارتهم مرتينة بالواقع السياسي والعلاقات الايجابية بين الطرفين.

ثانياً: زيارة الاربعين في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤)

لم يختلف الموقف في عهد السلطان سليم الثاني عن والده بشأن متابعة زيارة الاربعين والمطالب والرسائل التي ترد على السلطان بشأن منح تسهيلات للزوار والإقامة ولم يختلف موقفه عن والده في هذا المجال وسارت العلاقات بين الطرفين وفق اتفاق اماسيا والذي شكل فترة من الهدوء النسبي بين الدولتين.

ومن ضمن ما ورد من مراسلات بين بكلكبركي بغداد الى الديوان الهمايوني عرض فيه مجموعة من المسائل التي تحتاج البت بها وما يهمننا منها هي المسألة المتعلقة بالزوار

الايرائين وعلى وجه الخصوص بأحد الشخصيات وهو حسين خليفة وعلى الرغم من عدم تعريف شخصيته الا انه عد من الشخصيات الدينية المؤثرة في ايران، فقد أبلغ البكركبي بأنه أستقبل الحدود ووضع في رفقة عدد من الرجال ومنع من اختلاط الاخرين به كما تم إيلاء الاهتمام بتلبية احتياجات القادمين من ايران ويبدو أن أمر منع اختلاط القادمين من ايران مع الأهالي سبق أن صدر من الديوان الهمايوني لاسيما خلال مدة زيارة الاربعين، وطلب من البكركبي معرفة الأشخاص الذين يجلبون الذور والصدقات لتوزيعها في اضرحة الائمة والأشخاص المتعاملين معهم.

يبدو ان الوثائق العثمانية تناولت مختلف الجوانب التي تهم المشاهد الدينية ولاسيما مشهدين الامام علي وابنه الحسين عليهما السلام لما لهذان من تأثير كبير في نفوس الزوار الشيعة على وجه التحديد فمن جملة ما تم مناقشته هو المطالب الذي تقدم به بكركبي بغداد الموافقة على تغيير السجاد المفروش في المشهدين وهو من جملة الهدايا التي تقدم بها الزوار الايرانيين كون السجاد منقوش بأسم الشاه والمطالبة بإرسال السجاد م مركز الدولة).

وطلب البكركبي أعفاء اصحاب مزارع الكروم(العنب)من اعفائهم من الرسوم الديوانية مع الاشادة بقرار السلطان سليمان القانوني بإيصال الماء الصافي الى مشهد الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وحفر نهر الحسينية (النهر السليمانى)من الفرات الى كربلاء بعد أن كانت البلدة تعاني من ازمة مياه لعدم توفر المياه العذبة في المنطقة بعد ان كان الاهالي والزوار القاصدين الامام الحسين يشربون المياه المرة من الابار وترك هذا المنجز الفرح والسرور في نفوس الاهالي،وبالفعل استجاب السلطان سليم الثاني(١٥٦٦-١٥٧٤)الى تلك المناشدة وطلب من البكركبي أن يقوم

تسجيل الكروم والبساتين والمزروعات التحتية والفوقية التي استحدثت جراء المياه الجارية في النهر العظيم المذكور معفاة من الرسوم الديوانية في الدفتر الجديد مثلما عرض على غرار ما سجل معفياً في مدينة بغداد والحلة وذلك في حالة عدم استيفاء الرسوم منها لحد الآن (مهمة دفترى، ص ٢٤٥).

من المسائل المهمة التي أولت الدولة العثمانية اهتماماً بها مسألة زيارة الإيرانيين للمشاهد الشريفة ولاسيما زيارة الامام الحسين وكان الزوار ينزلون في بيوت الأهالي لعدم وجود خانات كافية للمسافرين للإقامة فيها، ولعل الأهالي كانوا يقبلون بنزولهم وعندما أبلغ الديوان الهمايوني بذلك أصدر أمره الى بلكركي بغداد ببناء خان للمسافرين في مكان قريب من المشهد الحسيني في كربلاء يكفي لاستيعاب الزوار، والغريب ان الكتب الرسمية تؤكد باستمرار على ضرورة تنظيم زيارة الإيرانيين وفق شروط حددها الديوان الهمايوني وهي:

١. تجميع الزوار الإيرانيين الراغبين بزيارة المشهد الشريف في الحدود وإبلاغ عددهم لبلكركي بغداد مع بيان طائفتهم (مذهبهم) ومنع اختلاطهم بأي شخص.
٢. تعيين مرشدين لمرافقتهم ومنع اختلاطهم بأي شخص في الطريق.
٣. منع نزولهم في داخل بغداد عند وصولهم إليها وتدوين عددهم وأسمائهم هناك في دفتر خاص في حال زاروا مدينة الكاظمية ويتم إمرارهم نهر دجلة من مرفأ الإمام الاعظم (الاعظمية) الى الكاظمية.
٤. منع اختلاطهم بأهالي المشاهد الشريفة عن قيامهم بالزيارة.
٥. عدم السماح لهم بالبقاء في الأماكن التي يزورونها أكثر من ثلاثة أيام بعد الزيارة.
٦. منع نزولهم في بيوت الأهالي.

٧.مراعاة قواعد الصلح المعقودة مع الجانب الايراني.

من القضايا التي ناقشها الديوان الهمايوني ما جاء به في رسالة البكركبي للديوان الهمايوني الرسالة التي بعثها متولي أوقاف المشهدين الشريفين عبدالسلام عرض فيها أنه لم يكن يبقى في السابق زوائد من موارد هذه الأوقاف ولكن في عهد هذا المتولي فقد تحققت في عام ١٥٧٣ زوائد بشكل كبير وهذا يعود الى تدفق الزائرين الى المشهدين الشريفين لهذا العام.

تناولت الوثائق العثمانية أدق التفاصيل بشأن زيارة الأربعين ومنها ما ختمته الوثائق العثمانية في عهد السلطان سليم الثاني هو تبادل الرسائل بين البكركبي وبين الديوان الهمايوني حول جماعة عرفت بـ«الدررايش» الذين اتخذوا من احدى الزوايا والتي حملت اسم الامام الحسين عليه السلام في كربلاء مقراً لهم وحولوا المكان الذي أقام فيه الأمام الحسين خيمته عند وصوله الى ارض كربلاء بستاناً وأجروا إليه قناة من نهر الحسينية لسقيه الا بعض الاشخاص قاموا بتحويل مجرى النهر وتحويله إلى بساتينهم وحرموا بذلك بستان الدراويش والذين اوقفوا البستان على خدمة زائري الامام الحسين، فأضطر هؤلاء ان يحرروا شكوى الى الديوان الهمايوني ناشدو فيها التدخل لإنصافهم، وما ان وصلت الرسالة الى السلطان سليم الثاني حتى حرر جواباً حول ذلك وأهم ما جاء في جوابه «قد الدراويش إمام قولي وهو من خدمة الزاوية الشريفة لأمير المؤمنين الإمام الحسين رضي الله عنه موفداً من رفاقه الى سدة سعادي ليبلغ أن الفقراء (الدراويش) أقاموا بستاناً في المكان الذي أقيمت فيه الخيمة الشريفة للإمام الحسين...، تنظر في الأمر فإذا كانت تلك القناة هي قناة قديمة وليست حق شرب أصحاب البساتين منذ القدم بل حفرها الدراويش بأنفسهم واعتادوا سقي البستان الذي أقاموه في المحل المذكور تعمل على إجراء الماء إلى بستانهم ثلاثة أيام

في الاسبوع وعدم التدخل بشؤونهم والى البساتين الآخرين في الأيام الاخرى من الاسبوع ليقوموا بسقي بساتينهم“ (مهمة دفترى ذيلي، ١٥٧٤، ص ٢).

الخاتمة

١. ان تسليط الضوء على زيارة الاربعين في عهد الاحتلال العثماني (١٥٣٤-١٩١٨) يحتاج الى وقفات عديدة من الباحثين للبحث عن تعامل الدولة العثمانية مع الزوار الذي يقصدون مشهد الامام الحسين عليه السلام، ولا سيما في عهد الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية واللاتان تجاذبتا الاحتلال على العراق.

٢. القى الصراع بين الدولتين على الوضع العام في العراق إضافة لما يمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية ودينية ذات اثر كبير في نفوس مريدي وأتباع الطائفة الشيعية والذين يقصدون زيارة مرقد الامام علي والحسين عليهما السلام.

٣. من خلال تناول بعض الوثائق العثمانية يلاحظ اهمية ايلاء المطالب الايرانية بخصوص زيارة المراقد الدينية المقدسة ولا سيما انها ضمن اولويات اهتمامات الباب العالي ويلاحظ ان كل طلب يتم توجيهه للسلطان العثماني يلقي الطب ردا من السلطان ذاته وهذا يعط اهمية كبيرة لايلاء تلك الشعيرة اهمية في نفوس العثمانيين وربما الخوف من استغلالها من خصمهم.

٤. ان اغلب مطالب الزوار الايرانيين هي طول مدة البقاء اثناء موسم الزيارة وتقديم الاطعمة والخدمات والتي يرفضها الباب العالي العثماني لأنه يفسرها بأنها ربما تؤدي الى الاخلال بالأمن من جهة ورفض الاطعام كونها من صميم واجبات الدولة العثمانية ازاء ضيوف المشاهد المقدسة.

٥. بل شملت الرسائل ابسط الامور ومنها تغيير فرش المشهد الحسيني كون ان الافرشة منقوش عليها اسم الشاه وهذا يعط مدلول بالنسبة للعثمانيين بأنها ليست من ضمن ادارتهم للمراقد.

المصادر

الوثائق العثمانية

- مهمة دفترى، الرقم ٦، حكم ١٤٣٢، ١٦ تموز ١٥٦٥.

الكتب العربية والمعربة

١. أبراهيم افندي، تاريخ بجوى (٢٠١٥)، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية - المجلد الأول من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الاول، ترجمة وتقديم: ناصر عبدالرحمن حسين، المركز القومي للترجمة، القاهرة. مصر.

٢. ال طعمة، محمد حسن مصطفى الكليدار (٢٠١٦). مدينة الحسين عليه السلام - مختصر تاريخ كربلاء، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء. العراق.

٣. بيات، فاضل (٢٠١٧). البلاد العربية في الوثائق العثمانية (الولايات العراقية في عهد السلطان سليم الثاني الجزء الاول (١٥٦٦-١٥٧٤) المجلد الخامس، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، استنبول. تركيا.

٤. الجميل، سيار (١٩٩١)، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل. العراق.

٥. سعداوي، صالح (١٩٩٩). الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استنبول. تركيا.

٦. عبدالله، ايناس سعدي. (٢٠١٤)، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨. مكتبة عدنان، بغداد. العراق.

٧. عامر، محمود علي (٢٠٠٤)، تاريخ الامبراطورية العثمانية (دراسة تاريخية واجتماعية)، دار الصفدي، دمشق، سوريا.

٨. العزاوي، عباس (٢٠٠٤)، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء ٤، الدار العربية للموسوعات، بيروت. لبنان.

٩. غربال، محمد شفيق (١٩٥٩). الموسوعة العربية الميسرة، دار العلم، مصر.
١٠. قايا، ديلك (٢٠٠٨). كربلاء في الأرشيف العثماني ١٨٤٠-١٨٧٦، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.
١١. لونكريك، ستيفن همسلي (٢٠٢٠)، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٥، دار الرافدين، بيروت، لبنان.
١٢. الوردي، علي (٢٠٠٥)، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط٢، ج٢، دار الراشد، بيروت-لبنان.